يوحنا ١، ١-١٧

٤ أحد الفصح

حدث القيامة وقيامتنا

تحدّى فيلسوف شاباً مسيحيّاً قائلاً: "أنتم هتفون المسيح قام، وتؤمنون أنّ إلهكم قد قام، ولكنكم تموتون"!

هذا التحدّي حقيقيّ ومنطقيّ. لكن ما هو جوابنا؟ إيماننا بالقيامة يعتمد على وعد المسيح، "فما أحبّ ويا ما ألذّ نغمتك أيّها المسيح التي وعدتنا به أنّك تكون معنا إلى نجاز الدهر". نحن لـيس لـدينا برهان على أنّنا لا نموت إلاّ قيامة المسيح ووعده لنا أنّه كما صلّى للآب حيث يكون هو يريد أن نكون نحن معه، وكما هو في مجده سيشاركنا معه ونكون مثله. والجسد الذي أخذه بالقيامة سيعطينا إياه في القيامة الأخيرة. السؤال إذن هو، هل فعلاً قام يسوع، فإذن وعده صادق، وقيامتنا حاصلة لا بد. لذلك بولس الرسول يقول: "إن لم يقم المسيح فإيماننا كلّه باطل".

البراهين على قيامة المسيح بدأت من الشهود المسيحيّين ومن أولهم كان بولس الرسول، الذي رآه على أبواب دمشق. حيثما كان يذهب ويقف كان يخبر أنّه رآه وأنّه حيّ. ومثله كثير من الشهود الذين ماتوا من أجل هذه الشهادة وليخبروا بقيامة المسيح. ولكن ربَّ قائل، رغم أنّ شهادة واستشهاد إنسان من أجل إيمانه، وفي حالتنا من أجل القيامة، هذا يبرهن أوّلاً صدق إيمانه، لكن ليس بالضرورة يـبرهن صحّة شهادته.

ما يعزّز شهادة المسيحيّين عن قيامة الربّ هو برهان ثانٍ قويّ جداً، وهي الشهادات الخارجيّة عن قيامة الربّ، أي من غير المسيحيّين، من يهود آنذاك ووثنيين، ومن المخطوطات والكتـب التاريخيّـة ويوجد منها الكثير.

على أن البرهان الأقوى والقاطع والأخير والذي لا شكَّ فيه، هو قيامة الكنيسة. كلنا نتـذكّر، ومن خلال الصلوات، كيف ترك تلاميذُ الربّ سيّدهم وهربوا. (عادوا إلى صنائعهم وزاولوا الصـيد

والشباك). وكذلك مثال تلميذي عمواس اللذين لم يحيَ أملهما الخائب رغم كلّ ما شرحه الربّ لهما من الكتب، حتّى كسر لهما الخبز. إن عودة هؤلاء الفارين إلى البشارة حتّى الموت تعود لاكتشافهم حقيقة ما. لقد عرفوا (وهم جماعة طيّبون وصادقون) أنهم يحملون الآن أهمّ حقيقة لحياة البشر ألا وهي قيامة المسيح.

يقول الذهبي الفم، هل يستطيع أحد أن يقيم أموات ويعطي حياة باسم ميت، كما فعل الرسل؟ لذلك رتّبت الكنيسة أن يُقرأ سفرُ أعمال الرسل في هذه الفترة، بدءاً من يوم القيامة، لأنّ تكوين الكنيسة كان بفضل القيامة، بعد أن كان التلاميذ قد تفرّقوا قبلها. القيامة هي علّة وغاية الكنيسة، والكنيسة جاءت من القيامة وغايتها البشارة بها.

تتكوّن الأناجيل كلّها من مقدمة تليها البشرى بموت المسيح وقيامته. في المقدّمة ترد حياة يسوع وتعاليمه، التي تعرّف به، ثم يأتي حدث البشرى بموت الربّ وقيامته. بولس عرف بشارته بأنّها نقل الخبر أنّ يسوع قد قام.

في الكنيسة الأولى، اهتدى الكبار بداية وليس الأطفال. لذلك كانت المعموديّة، أي الدخول في الكنيسة للكبار. وكان المهتدي إلى الإيمان ينتظر عموماً فترة الصوم الكبير للتعليم المسيحيّ والتوبة، ثم يأتي يوم سبت النور ويوم الفصح للمعموديّة. فالفصح كيوم قيامة كان هو اليوم المعيّن لمعموديّة الإنسان الذي سمع وصدق وآمن بخبر القيامة. القيامة هي البشارة الجديدة له، وفي يوم القيامة كان يبدأ حياته المسيحيّة الجديدة بالمعموديّة. لذلك كان الفصح، ويجب أن يبقى، مرتبطاً بتبديل الحياة تماماً، من وثنيّ إلى مسيحيّ. من هنا جاءت بعض العادات في العبادة المسيحيّة، كالأنوار والشموع واللباس الأبيض وغيرها في طقس المعموديّة ودخلت منها في طقس الفصح.

ونعود إلى السؤال والتحدّي الأوّل وهو ما دور قيامة المسيح على حياتنا؟ إذا قام المسيح فماذا علينا؟ هذا هو التحدّي، أنّ المسيح قام فعلاً كحدث تاريخيّ مبرهن، ولكنّ الحدث الذي يحتاج دائماً إلى برهان، وهو رهن أيادينا وإرادتنا، إنّه حدث تبديل حياتنا. كما كان الفصح في الأصل في حياة الكنيسة.

"المسيح قام" عبارة رجاء، عبارة فرح، عبارة تهليل؛ لكنّها بالوقت ذاته وبالعمق عبارة صعبة وتحدٍّ قاسٍ. "المسيح قام" يعني أنّ الموت قد دِيس، وأنّ مدينتنا ليست الحاليّة وإنّما الباقية. وهذا يعني أنّنا لا نستوطن هنا ولكن نسعى إلى الحياة الحقيقيّة.

لا شكّ بقيامة المسيح، ولكنّ التحدّي هو على مقدار انعكاس قيامته على حياتنا وضرورتها فيها.

المسيح قام، حقّاً قام!